المرحلة الاولى/ قسم اللغة العربية

المحاضرة الحادية عشر/ مادة علوم القرآن والحديث النبوي

التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي

المراد بالمأثور: هو ما جاء في القرآن الكريم أو في السنة أو أقوال الصحابة أو التابعين.

والمراد بالتفسير بالرأي: ومعناه الاجتهاد بالضوابط (القواعد) أي معرفة المجتهد باللغة و أسباب النزول والناسخ والمنسوخ والمطلق والمقيد والعام و الخاص وغيرها.

يقول الطبري: ويُكره للمفسر أمورٌ منها:

1- أن يُفَسِرَ برأيه.
2- أن يُفَسِرَ على ميله أو هواهُ الفاسد.
3- أن يسارع المفسر في التفسير دون تأني.

و أفضل التفسير تفسير القرآن بالقرآن، فإن أعياك فتفسير القرآن بالسُّنة، فإن أعياك فبأقوال الصحابة، فإن لم تجد فبأقوال التابعين.
يقول الزركشي صاحب كتاب البرهان والتفسير على نوعين:
أ- ما هو تفسيره من القرآن أو من أقوال النبي ﷺ والصحابة والتابعين.
ب- ما ليس تفسيراً لهُ إذا خلا من هذه الأربعة مثل كتب إعراب القرآن أو الكتب التي تهتم بصرف القرآن أو غيرهما.

التفسير في عهد النبي ﷺ

لقد تكلم العلماء في ما فسره النبي ﷺ ومنهم الإمام السيوطي (ت 911 هـ) حينما جمع ما فسره النبي ﷺ مصرحاً به من كتب الحديث ومن كتب التفسير وبلغت مئتي وخمسين نصاً أو رواية ذكرها في آخر كتابه الاتقان. ومنها ما ورد في مسند الإمام أحمد والترمذي عن عديّ بن حاتم الطائي أن النبي ﷺ قرأ قوله تعالى: "غير المغضوب عليهم و لا ضالّين" فقال: المغضوب عليهم اليهود، والضالّين النصارى.
وفي سنن الحاكم عن أنس (رضي الله عنه) أن النبي ﷺ قرأ قوله تعالى: (ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا) فقال النبي ﷺ في تفسير السبيل بالزّاد والراحلة.

وفي الصحيحين عن عبد الله بن مسعود قال: لما نزل قوله تعالى(الَّذِينَ آَمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ) سورة الانعام: 82، أي لم يخلطوا. قال الصحابة: يا رسول الله أيُّنا لم يلبس إيمانهُ بظلم، فقرأ النبي ﷺ قوله تعالى: (إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ) سورة لقمان:13، ففسر النبي ﷺ الظلم بالشرك. وفي صحيح الإمام مسلم عن عقبة بن عامر قال: سمعت النبي ﷺ وهو على المنبر يقول (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ) سورة الانفال: 60، ثم قال النبي ﷺ ألا إن القوّة الرّمي قالها ثلاثاً.

وفي مسند الإمام أحمد والترمذي عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان، ثم قرأ النبي ﷺ قوله تعالى: إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آَمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآَتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ) سورة التوبة: 18.

وفي سنن النسائي عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: إن الرجل إذا ارتكب ذنباً نُكت في قلبه نكتة سوداء فإن تاب صُقِلَت، فإن عاد نُكت في قلبه أخرى حتى يكون كالرَّان ثم قرأ النبي ﷺ قوله تعالى: (كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) سورة المطففين: 14، الرَّان هو شدة السَّواد.

والنبي ﷺ قد فسَّر القرآن بسُنتهِ القولية والفعلية ومنها:

أنّ الصلاة وردت 99 مرّة بمشتقاتها وهي في اليوم خمس مرات وعدد ركعاتها 17 ركعة. تبدأ بالتكبير وتختم بالتسليم. ومع وردها بهذا العدد في القرآن لم تأتي مفصلة ففصلتها السنة فقال النبي ﷺ "صلوا كما رأيتموني أُصلي"

والعلماء قد تكلموا: هل النبي ﷺ فسَّر كل القرآن أم لم يُفسره؟

فقال قسم من العلماء إن الرسول ﷺ فسَّر القرآن كله واستدلوا على ذلك بما ورد عن أبي عبد الرحمن السّلمي قال: تعلّمنا القرآن عن عثمان بن عفان وعلي وعبدالله بن مسعود (رضي الله عنهم) وغيرهم كلَّ عشر آيات كما تعلّموها من النبي ﷺ فتعلّمنا العلم والعمل معاً.

وقال آخرون ومنهم أبو عبيدة مُعَمَّر بن المثنى أن النبي ﷺ فسَّر لهم ما يحتاجون إليه، وابن عباس (رضي الله عنها) يقول التفسير على أربعة أوجه:

1- ما استأثر الله بعلمه بها به.
2- هناك آيات نعرف معناها من خلال تفسير النبي ﷺ
3- آيات نعرفها من خلال أهل اللغة.
4- قسمٌ لا يُعذر أحدٌ بجهالته بها.

والنبي ﷺ وضح لنا الصيام وكذلك الحج فقال: خذوا عني مناسككم، والنبي ﷺ قد حج مرّةً واحدة وتُسمى حجَّة الوداع لأن النبي ﷺ قال: لعلّي لا ألقاكم بعد عامي هذا، وتسمى حجة القضاء، لأنها كانت بدلاً عن العام الذي قبله، والنبي ﷺ اعتمر أربع مرات. و أعمال الحج هي: النية، ملابس الإحرام، الطواف، السعي، الوقوف بعرفة، رمي الجمرات، الحلق أو التقصير، والنحر.

فإذا ما حج المسلم و اعتمر يُسمى قِرَاناً، وهناك التمتع: وهو أن يعتمر ثم يتحلل ثم بعد ذلك يحج، وهناك الافراد: وهو الحج وحده، والمتمتع أو المقرن عليه أن ينحر، فإن لم يجد ما ينحره فعليه صيام ثلاثةِ أيام في الحج وسبعة إذا رجع باستثناء أهل مكة إلا إذا تطوع.
أما أعمال العمرة فهي: الطواف، السعي، التقصير أو الحلق.

وممّا له علاقة بالتفسير الزّكاة فقد وردت الزكاة في سورة التوبة اية:60 قال تعالى: (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) و لابد في الزّكاة من النصاب والحول.
والنصاب: هو المِقدار، فلا بدّ أن يكون النصاب في الذهب عشرون مثقالاً وهي تعادل 85 غم من الذهب والدينار الإسلامي هو مثقال من الذهب والمثقال هو أربع غرامات وربع
(الموسوعة الفقهية/ فقه الزكاة/ المكيل والموزون وغيرها)
والفضة نصابها مئتي درهم و في وقتنا تعادل 595 غم من الفضة أي ما يعادل 700 ألف في وقتنا الحاضر. والحول: هو سنة قمرية، فمن كان عنده هذا النصاب، ففي كل أربعين واحد. أما ذهب المرأة للزينة إذا بلغ النّصاب فقول العلماء على رأيين:
أ- لا يُزكى أصلاً قياساً على بيت السكن وسيارة الخدمة.
ب- من باب الورع يُزكى في العمر مرّة.

وهناك زكاة الانعام: كالإبل والبقر ويدخل فيها الجاموس والغنم. وفي الزروع، قال تعالى: (وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ) سورة الانعام: 141.
والذي يستعمل فيه الآلة فزكاته نصف العشر 5 %، وما يسقى بماء السماء ففيه العشر 10%، وهناك الرّكاز (أي ما يخرج من باطن الأرض) ففيه عشرين بالمئة، ويوم أن طبق الاسلام في قارتي آسيا و أفريقيا في زمن عمر بن عبد العزيز لم يبق فقيرٌ.
زكاة الزروع يقول النبي ﷺ ليس في أقل من خمسة أوسق صدقة (وتعادل 653 كغ و الوسق ستون صاعاً و الصاع أربعة أمداد).

وفي زكاة الانعام تفصيل في كتب الفقه.

التفسير في عهد الصحابة (رضي الله عنهم)

الصحابة هم أعلم الناس بالنبي ﷺ لأنهم شاهدوه و سمعوا أقواله، يقول علي (رضي الله عنه): ما من آية نزلت إلا علِمت أين نزلت، ومتى نزلت، وكيف نزلت. يقول عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه): ما من آية نزلت إلا علِمت متى نزلت و أين نزلت وكيف نزلت و لو أني أعلم أنَّ هناك أعلمُ مني تبلغه المطايا لركبتُ إليه.

وقد اشتهر من الصحابة عشرة: الخلفاء الأربعة، عبد الله بن مسعود، عبد الله بن الزبير، عبد الله بن عبّاس، زيد بن ثابت، أبو موسى الاشعري، أُبيّ بن كعب.

و أشهر هؤلاء العشرة هو: عبد الله بن عباس، فقد ولِدَ قبل الهجرة بثلاثة سنوات، و توفي النبي ﷺ وعمره ثلاثة عشر سنة.

و توفي سنة 68 هـ و يقول: لقد دعا ليَ النبي ﷺ مرّتين.

جاء في كتاب الطبقات قال ابن عباس (رضي الله عنها): أن النبي ﷺ دعا لي فقال : اللهم فقه في الدين وعلمه التأويل، وفي الثانية جاء في البخاري قال ابن عباس: بِتُّ في بيت خالتي ميمونة بنت الحارث فدعا النبي ﷺ بوضوء، فجئته به، قالت خالتي: جاء به آبن عباس، يقول: فمسح النبي ﷺ على ناصيتي ثم دعا لي فقال: اللهم فقه في الدين وعلِّمه التأويل.

وكان عمر (رضي الله عنه) يُدخله (ابن عباس) مع أشياخ بدر لمنزلته.

يقول السّيوطي: و كلام ابن عباس منتشر في كتب التفسير والحديث، و أقدم ما وصلنا عنه كما قال (السيوطي) صحيفةً كتبها علي بن طلحة بن هشام. يقول العلماء: لو أن رجلاً رحل من أجلها إلى بلاد الشام ما كان ذلك كثيرٌ عليها لما فيها من آراء. وقد جمع محمد فؤاد عبد الباقي كلام ابن عباس من كتب الحديث والتفسير في كتاب أطلق عليه (غريب القرآن) ومما حوى هذا الكتاب: مسائل نافع بن الأزرق، وقصة هذه المسائل أنَّ نافع بن الأزرق دخل المسجد الحرام فرأى ابن عباس على حوضٍ من حياض السقاية قد دلى ابن عباس برجليه فيه والناس حوله يسألونه ويُجيب، فقال ابن الأزرق: ما أجرأك يا آبن عباس على الفتوى، فقال ابن عباس: أتعلم من أجرأُ مني؟ قال: لا، قال ابن عباس: من تكلم بغير علمٍ أو تُكُلِّمَ عنده بغير علم.

وهناك كتاب لابن عباس آسمه (غريب اللغات) ومنه قوله تعالى: "رجز الشيطان" سورة الانفال:11، أي تخويفه بلغة هذيل، ومنه "يجعل له فرقاناً" أي مخرجاً في لغاتٍ أخرى و غيرها.

و هناك كتابٌ ينسب لآبن عباس و آسمه "الاقتباس في تفسير آبن عباس" طُبِعَ أخيراً، يقول محمد حسين الذهبي: وهذا التفسير لا يفقد شيءٌ عنهُ و إنما الفقدُ في نسبتهِ إلى ابن عباس.

و كلام ابن عباس و أقواله قد وصلتنا من خلال طُلابهِ وكتب التفسير والحديث وغيرها.

وقد اشتهر ابن عباس في التفسير والحديث والمغازي فكان له يومٌ فيتحدث فيه عن الأنساب ويومٌ عن المغازي وغيرِهما.

التفسير في عهد التابعين

لقد اشتهر من التابعين عددٌ كبير و كان هناك مدارس كثيرة اشهرها مكة والكوفة و غيرها. ففي مكة كان معلِّمُها عبدالله بن عباس، ومن تلامذتهِ من التابعين مجاهد بن جبر المكي و عطاء بن رباح و عكرمة مولى عبدالله بن عباس وغيرهم و أشهرهم مجاهد بن جبر المكي يقول: عرضت التفسير على ابن عباس ثلاث عرضات وكنت أسأله عن كل واحدة عمَّا خَفِيَ منها.

وفي المدينة كان معلِّمُها زيد بن ثابت ومن تلامذتهِ من التابعين زيد بن أسلم وابنه عبد الرحمن بن زيد، و مالك بن أنس وغيرهم. وقد كان لزيدٍ تفسير و لابنهِ عبدالرحمن تفسير وكذلك ابنهُ عبد الرحمن كتبٌ في الناسخ والمنسوخ.

وفي الكوفة كان معلِّمها عبدالله بن مسعود ومن تلامذته من التابعين سعيد بن جبير والحسن البصري والضحاك بن مزاحم والربيع بن أنس.

وممن اشتهر في التفسير من تابع التابعين: سفيان بن عيينة، سفيان الثوري، عبدالرزاق بن همام الصنعاني، الوكيع بن الجراح وغيرهم.

و هناك كتب المصنفات وهي الكتب الكبيرة أو الجامعة منها:

معاني القرآن لأبي زكريا الفراء، و مجاز القرآن لِمُعَمَّر بن المثنى، وهناك كتب في التفسير لها علاقة بأخبار الرّجال أو سرد السِّيَر مثل تفسير الطبري و تفسير الثعالبي و ابن كثير.

هناك تفاسير في البلاغة منها:

تفسير الكشاف لمحمود بن جار الله الزمخشري، وهناك التفسير الغالب عليه (صفة الفقه) مثل تفسير القرطبي.

هناك التفسير الغالب عليه اللغة ومنها: تفسير الرازي و البحر المحيط لابن حيّان التوحيدي.

هناك كتب اهتمت بإعراب القرآن ومعانيه مثل معاني القرآن للزجاج والنحاس.

هناك كتب حديثة في هذا المجال مثل التحرير والتنوير وحدائق الروح والريحان و إعراب القرآن وصرفه وغيرها.

أ.م. د. قاسم فتحي سليمان